إن الطريقة التي تحدث عنها بيير ماشيري فيما يخص تولد موقف الكاتب من خلال الصراع الدائر بين الإديولوجيات داخل النص هي نفسها تلك التي كان قد بلورها بصورة بارزة باختين منذ بداية هذا القرن، فعن طريق توضيع Objectivation كلام الآخرين (إديولوجياتهم) يمكن للكاتب أن يطرح الأسئلة على الآخر ويُظْهِرَ ضعفه ويكشف عن حدود تصوراته. وهذا يؤدي إلى التحرر من سلطة كلام الآخرين بعد أن كان هذا الكلام يهيمن على الكاتب. وباختين هنا لا يصرح أبداً بأن الكاتب يصبح بعد هذا صاحِبَ اختيارٍ إديولوجي ما، إذ يبدو لنا وكأنه يتصور الرواية مختبراً للمعرفة السوسيولوجية، وبالأخص الرواية الديالوجية، أكثر مما هي مجال للاختيار الإديولوجي.

والكاتب في الرواية الديالوجية ليس موجوداً لكي يختار من بين الإديولوجيات ما يلائمه، ولكنه موجود فقط ليمتحن جميع الإديولوجيات ويشاكسها ليعرف حدود كل واحدة منها. وهو عندما ينتهي من عمله نراه وقد ارتقى فوقها جميعاً:

«إن سيرورة هذا الصراع مع كلام الآخرين ومع سطوته، لها تأثير كبير على تاريخ الصيرورة الإديولوجية للوعي الفردي. عاجلاً أو آجلاً سيبدأ «كلامُنا» «صوتُنا» المتولدان عن أقوال وأصوات الآخرين أو المستحدثان حوارياً بواسطتهما في التحرر من سلطة كلام الآخرين (. . .) فنحن نسأله، ونضعه في موقف جديد لإماطةِ اللثام عن ضعفه ولكشف حدوده والوقوف على موضوعيته (. . .) فوق هذه الرقعة تُولَدُ تَشْخِيصاتٌ روائيةٌ نافذة وثنائية الصوت، تَضْطَلِعُ بتوضيع الصراع بين كلام الآخر المُقَنَّع وبين الكاتب الذي كان ذلك الكلام يتحكم فيه»[58].

إن صوت الكاتب في الواقع (أو إديولوجيته) يكونان موجودين ضمن الأصوات المتعددة المتعارضة منذ بداية الرواية، غير أن جميع هذه الأصْوات تبدو متعادلة القيمة بحيثُ يكونُ من المتعذِّر تماماً تحديدُ الموقف الذي يتبناه الكاتب ما دام يدير الصراع الإديولوجي في شبه حياد تام. إن آراء الكاتب لا تُشكل في البداية إلّا طرفاً واحداً من حدود الصراع الإديولوجي، ولا يتنبه القارىء إلى مشروع الكاتب الإديولوجي إلا بعد أن يكون قد انتهى من قراءة العمل. ونحن نجد تأكيد هذه الفكرة فيما قاله أحد النقاد إذ رأى «أنه في سياق وضع نظرية للإنتاج الأدبي، وانطلاقاً من المبادىء المادية فقد تمت محاولة إظهار التناقض المعقد الذي يُنْتِجُ النصَّ الأدبي فما يمكن الكشف عنه على أنه المشروع الإديولوجي عند الكاتب ـ والذي يُعَبِّرُ عن موقف طبقة محددة ـ ليس في الواقع سوى واحدٍ من حدود ذلك التناقض الذي يُقَدِّمُ النصُّ تركيباً خيالياً له مع المواقف المناقضة، دون القدرة مع ذلك على إلغاء الفروق الواقعية الموجودة بين هذه المواقف»[59].

(58) المرجع السابق، ص 100 - 101.

(59) Renée Balibar: **Les français fictifs.** P. 34.